بتاريخ ١٢ من ذي الحجة 1447 هـ الموافق ٢٩/ ٥/ ٢٠٢٦م

دُرُوسٌ وَعِبَرٌ مِنْ قِصَّةِ قَارُونَ

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١]﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ:

إِنَّ القَصَصَ الَّتِي أَوْدَعَهَا اللهُ فِي كِتَابِهِ وَالأَنْبَاءَ الَّتِي أَخْبَرَ بِها عِبادَهُ تَتَجَلَّى فِيها العِبَرُ وَالعِظاتُ، وَتَرْتَسِمُ فِي طَيَّاتِها المَواعِظُ وَالهِداياتُ؛ فَحَرِيٌّ بِالعَبْدِ المُوَفَّقِ أَنْ يَقِفَ مَعَ تِلْكَ القَصَصِ وَقْفَةَ المُتَأَمِّلِ وَالمُسْتَرْشِدِ، قالَ تَعالى: ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [يوسف: ١١١]، وَمِنْ أَخْبَارِ القُرْآنِ الَّتِي قَصَّها اللهُ عَلَيْنا: قِصَّةُ قارُونَ الَّتِي ذَكَرَها اللهُ تَعالى فِي آخِرِ سُورَةِ القَصَصِ، قالَ تَعالى: ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ

﴿ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴾ [القصص: ٧٦]، تَأَمَّلْ قَوْلَهُ تَعالى ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ ﴾ أَيْ: مِنْ لُحْمَتِهِ وَقَرابَتِهِ، فَهُوَ ابْنُ عَمِّ مُوسَى عليه السلام، اغْتَرَّ بِمالِهِ وَأُعْجِبَ بِنَفْسِهِ فَلَمْ تَنْفَعْهُ قَرابَتُهُ مِنْ مُوسَى عليه السلام، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ». [رَواهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه]، وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ سُورَةً كامِلَةً فِي عَمِّ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، فَقالَ تَعالى: ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴾ ؛ أَيْ: خابَ وَخَسِرَ، وَتَوَعَّدَهُ بِالنَّارِ، فَقالَ تَعالى: ﴿ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ﴾ فَالعِبْرَةُ عِنْدَ اللهِ تَعالى بِالعَمَلِ الصَّالِحِ، قالَ تَعالى: ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾ [الحجرات: ١٣]

عِبادَ اللهِ:

إِنَّ فِتْنَةَ المَالِ خَطِيرَةٌ جِدًّا، فَعَلَى المُسْلِمِ أَنْ يَحْذَرَها وَلا يَغْتَرَّ بِمالِهِ، قالَ تَعالى عَنْ قارُونَ: ﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ ﴾ [القصص: ٧٦] مَفاتِحُ الكُنُوزِ تُثْقِلُ الجَماعَةَ مِنَ الرِّجالِ، فَما بالُكَ بِالكُنُوزِ نَفْسِها!!

قالَ تَعالى: ﴿ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴾ [القصص: ٧٦] أَيْ: لا تَبْطَرْ وَهٰذا هُوَ الفَرَحُ المَذْمُومُ المَنْهِيُّ عَنْهُ ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ ﴾ [القصص: ٧٧] أَيِ: اعْمَلْ لِآخِرَتِكَ، ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [القصص: ٧٧] أَيْ تَمَتَّعْ بِما أَباحَ اللهُ لَكَ، وَهٰذا يَدُلُّ عَلى سَعَةِ هٰذا الدِّينِ وَفُسْحَتِهِ، قالَ سَلْمانُ الفارِسِيُّ رضي الله عنه : (إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ). وَقَدْ أَقَرَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلى ذٰلِكَ بِقَوْلِهِ: «صَدَقَ سَلْمانُ». [رَواهُ البُخارِيُّ]. قالَ تَعالى: ﴿ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ ﴾ أَيْ: تَذَكَّرْ إِحْسانَ اللهِ إِلَيْكَ وَأَحْسِنْ إِلَى النَّاسِ. ﴿ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾. نَصِيحَةٌ عَظِيمَةٌ لٰكِنَّهُ أَعْرَضَ عَنْها وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْها.

مَعاشِرَ المُسْلِمِينَ:

إِنَّ العُجْبَ بِالنَّفْسِ مَرَضٌ خَطِيرٌ، وَسَبَبٌ لِهَلاكِ العَبْدِ، وَقَدْ رَدَّ قارُونُ عَلى نَصِيحَةِ النَّاصِحِينَ لَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ ﴾ أَيْ: إِنِّي أَسْتَحِقُّ ذٰلِكَ وَأَنا أَهْلٌ لَهُ، وَأَعْرِفُ مَكاسِبَ التِّجارَةِ وَجَمْعَ المَالِ، فَقالَ اللهُ

مُوَبِّخًا لَهُ: ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ فَلَمْ يَعْتَبِرْ قارُونُ مِنْ حالِ الأَوَّلِينَ، وَلَمْ يَقْبَلْ نَصِيحَةَ النَّاصِحِينَ.

فَلَمْ يَنْسُبْ هٰذا الَّذِي هُوَ فِيهِ لِلَّهِ تَعالَى، فَيَتَواضَعْ لِرَبِّهِ، وَلٰكِنَّهُ أُعْجِبَ بِنَفْسِهِ، وَانْظُرْ ما قالَهُ سُلَيْمانُ عليه السلام عِنْدَما رَأَى فَضْلَ اللهِ تَعالى عَلَيْهِ، وَقارِنْ بَيْنَ مَقالَتِهِ وَمَقالَةِ قارُونَ، قالَ تَعالى عَنْ سُلَيْمانَ عليه السلام: ﴿ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ [النمل: ٤٠]، وَكَما أَنَّ الفَقْرَ ابْتِلاءٌ، فَكَذٰلِكَ الغِنَى ابْتِلاءٌ، قالَ تَعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ:

إِنَّ النَّظْرَةَ الحَقِيقِيَّةَ لِلدُّنْيا تَعْصِمُ العَبْدَ مِنَ الِافْتِتانِ بِها، قالَ تَعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ فَالعِصْمَةُ مِنْ شَهَواتِ الدُّنْيا، تَحْتاجُ إِلى عِلْمٍ نافِعٍ، وَصَبْرٍ عَنْ لَذَّاتِها. إِنَّ مَآلَ قارُونَ عِبْرَةٌ لَنا وَعِظَةٌ عَظِيمَةٌ؛ قالَ تَعالى: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ خَسَفَ اللهُ بِهِ فَلَمْ يَنْفَعْهُ مالُهُ، وَلَمْ يَنْفَعْ نَفْسَهُ، وَانْكَشَفَتِ الحَقِيقَةُ أَمامَ الجَمِيعِ، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ مُحَذِّرًا مِنْ آفَةِ العُجْبِ: «بَيْنَما رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ، إِذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ الأَرْضَ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيها إِلى يَوْمِ القِيامَةِ» [رَواهُ البُخارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه]. قالَ تَعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ﴾ أَيْ: أَنَّ المالَ يُعْطِيهِ اللهُ تَعالى مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لا يُحِبُّ، وَلَيْسَ دَلِيلًا عَلى رِضا اللهِ عَنِ العَبْدِ، وَالرِّزْقُ العَظِيمُ هُوَ الإِيمانُ بِاللهِ سُبْحانَهُ وَتَعالى؛ ﴿ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

أَقُولُ ما تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ فَاسْتَغْفِرُوهُ، إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمِينَ، لَهُ الحَمْدُ الحَسَنُ وَالثَّناءُ الجَمِيلُ، وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ؛ وَاعْلَمُوا أَنَّ تَقْوَى اللهِ أَمْثَلُ طَرِيقٍ وَأَقْوَمُ سَبِيلٍ.

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ:

فِي خاتِمَةِ هٰذِهِ القِصَّةِ قاعِدَةٌ مِنَ القَواعِدِ القُرْآنِيَّةِ المُحْكَمَةِ الَّتِي تَبْعَثُ الأَمَلَ فِي نُفُوسِ أَهْلِ الإِيمانِ، وَتَمْلَأُ قُلُوبَهُمْ ثِقَةً وَيَقِينًا، قالَ تَعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ قالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ سَعْدِيٍّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (أَيْ حالَةُ الفَلاحِ وَالنَّجاحِ، الَّتِي تَسْتَقِرُّ وَتَسْتَمِرُّ، لِمَنِ اتَّقَى اللهَ تَعالى، وَغَيْرُهُمْ -وَإِنْ حَصَلَ لَهُمْ بَعْضُ الظُّهُورِ وَالرَّاحَةِ- فَإِنَّهُ لا يَطُولُ وَقْتُهُ، وَيَزُولُ عَنْ قَرِيبٍ، وَعُلِمَ مِنْ هٰذا الحَصْرِ فِي الآيَةِ الكَرِيمَةِ أَنَّ الَّذِينَ يُرِيدُونَ العُلُوَّ فِي الأَرْضِ أَوِ الفَسادَ، لَيْسَ لَهُمْ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ نَصِيبٌ) فَالسَّعِيدُ -عِبادَ اللهِ- مَنِ اعْتَبَرَ وَاتَّعَظَ مِنْ حالِ مَنْ سَبَقَ.

اللَّهُمَّ اكْفِنا بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنا بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِواكَ. اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنا الإِيمانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنا، وَكَرِّهْ إِلَيْنا الكُفْرَ وَالفُسُوقَ وَالعِصْيانَ، وَاجْعَلْنا مِنَ الرَّاشِدِينَ، اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلَامَ وَالمُسْلِمِينَ، وَأَذِلَّ الشِّرْكَ وَالمُشْرِكِينَ، وَانْصُرْ دِينَكَ وَكِتابَكَ وَسُنَّةَ نَبِيِّكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِبادَكَ المُؤْمِنِينَ. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُسْلِمِينَ وَالمُسْلِماتِ، وَالمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ، الأَحْياءِ مِنْهُمْ وَالأَمْواتِ، وَاحْفَظْ حُجَّاجَ بَيْتِكَ الْحَرَامِ مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَمَكْرُوهٍ، وَرُدَّهُمْ إِلَى دِيَارِهِمْ سَالِمِينَ، مِنَ الْأَجْرِ غَانِمِينَ، قَدْ غَفَرْتَ ذُنُوبَهُمْ وَجَبَرْتَ خَوَاطِرَهُمْ، وَوَفِّقِ - اللَّهُمَّ - أَمِيرَنا وَوَلِيَّ عَهْدِهِ لِهُداكَ، وَاجْعَلْ أَعْمالَهُما فِي طاعَتِكَ وَرِضاكَ، وَاجْعَلْ هٰذَا البَلَدَ آمِنًا مُطْمَئِنًّا سَخاءً رَخاءً، دارَ أَمْنٍ وَإِيمانٍ، وَسائِرَ بِلادِ المُسْلِمِينَ.

لجنة إعداد الخطبة النموذجية لصلاة الجمعة